﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤﴾ [يوسف: 74]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد الاتّهام يُشرَع في التّحقّق بالمعاينة؛ لإقامة الحُجّة البالغة، بعقاب مُستَحقّ

لمّا سبق ذِكْرُ اتّهام فتيانِ يوسفَ ﷺ لإخوته، وتبعَهُ بيانُ إخوةِ يوسفَ لبراءتهم على وجه التّأكيد، ونفي كونِهم سارقين، أَتْبَع ذلك بقول جماعة يوسف: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾؟ لإقامة الحُجّة عليهم، ولينطقوا هم بأفواههم بما يَستحِقُّه المذنبُ مِن عقابٍ وجزاءٍ، هو مِنَ المعروف عندهم، وهذا لونٌ مِنَ التّحقيق الجادّ المبني على التّدقيق والتّحرِّي في توجيه الاتهام، ثمّ التّدقيق والتّحرِّي أيضًا في تقرير الجزاء، فانتقلوا بذلك من الاتّهام والدّفاع المُجَرّدَين، إلى التّحرّي لبيان صدقِ أحد الفريقين.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تحديد جزاءِ السّارق، إمضاءٌ للخُطّة، وإلزامٌ بالحُجّة

قال المُنادي وأَصحابُه: فما جزاءُ مَنْ سَرَقَ الصُّواعَ عِنْدَكُمْ إنْ كُنْتُم كاذبينَ في دعواكُمُ البراءةَ مِنَ السَّرِقةِ[1]؟ وكانت شريعةُ بني يعقوبَ أنْ يَسْتَعْبِدُوا السَّارقَ سَنَةً عِنْدَ صاحبِ المَتاع، فعامَلَهم بما هُم عَليه[2]، وذلك موافقٌ لخطَّته التي وضعها لإبقاء أخيه معه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

وجه فصل الجملة المصدّرة بفعل القول:

الجمل في المحاورة تُفصل بفعل القول؛ بيانًا لجهة الخطاب

الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ مفصولةٌ لأنّها جاءت للاستئناف البيانيّ؛ فهذا القول جاء جوابًا عن سؤال نشأ عن إنكار إخوة يوسفَ لما رُمُوا به مِنَ الاتّهام، فأقْسَموا

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/182، وجماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 244.

(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/246.

على براءتهم، فكأنّه قيل: فما قال فتيان يوسف؟ فقيل: ﴿قَالُواْ﴾، فالجملة جوابٌ عنِ السّؤال النّاشئ عن ذلك الإنكار[1].

عود ضمير القول في الآية:

صُـدّرَ القـولُ بالسّـؤال عن فتيان يوسفَ، ردًّا على الإنكار

الضّمير في فعل القول في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ عائدٌ إلى فتيان يوسف ﷺ[2]، والجمع فيه للدّلالة على أنّ القول ليس خاصًّا بواحد منهم، بل هو قول صادر عن فرد منهم، يبلّغهم القولَ المتّفقَ عليه بينَهم.

دلالة الفاء على التّفريع:

يترتّب السّؤال المسوق عن الجزاء على إنكار الجناية

حكى النّظم عنهم أنّهم قالوا: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾، فَصَدّروا مقولَهم بالفاء الدّالّة على التّفريع[3]؛ لأنّ هذا السّؤال مُفَرّع عن إنكار إخوة يوسفَ أن يكون السّارقُ منهم، فترتّب على نُكرانهم ذلك أن يُوجّه إليهم السّؤالُ عن الجزاء، تمهيدًا لإيقاع التّحرّي في رحالهم عنِ السّقاية.

بلاغة الاستفهام ودلالته:

تقرير الخصم بالعقاب يَدفَع النّزاعَ وقتَ ثبوتِه عليهم

الاستفهام في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ جاء للتّقرير والاعتراف بنوع العقوبة، التي اقتضى الكيدُ إيقاعَها بالسّارق، حتّى لا يقع نزاعٌ مِن إخوة يوسفَ ﷺ بعد ثبوتها عليهم واستحقاقِهمُ العقابَ[4]، فسألوهم عنِ الجزاء لمن وُجِدَ الصُّواعُ في متاعه؛ ليكون الجزاءُ به برضاهم، ولا يكون فيه غَمْطٌ لهم، أو تجاوزٌ للحَدّ، أو شططٌ في زعمهم[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/171.
(2) الشّوكاني، فتح القدير: 3/51.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/137.
(4) المطعني، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/137.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3845.

عودُ الضّمير في: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾:

السّـؤال واقـع عـن جـزاء سرقة الصُّواع، أو عن جزاء السّارق

يعود الضّمير المضاف إليه في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ للصُّواع، فيكون على تقدير مضافٍ محذوف، أي: ما جزاء سرقةِ الصُّواع في شريعتكم، ويَصِحّ أن يكون الضّميرُ للسّارق، أي: فما جزاءُ سارقِ الصُّواع؟[1].

دلالة التّعبير بـ ﴿إِن﴾ الشّرطيّة:

عـدم اليـقين بكذبهم يُـلْـزِم التّـعبيرَ بحرف الشّـرط الـدّالّ على الافتراض

آثر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بـ ﴿إِن﴾ الشّرطيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾؛ لبيان أنّهم غيرُ جازمين بكونهم سارقين، فأظهروا أنّهم لا يعرفون بوجود السّقاية في رحالهم، وأنّ ذلك ليس إلّا احتمالًا، فيكون اتّصافُهم بالكذب مُحتمَلًا لا قطعيًّا، فأُوثِرَ لذلك التّعبيرُ بـ ﴿إِن﴾ الشّرطيّة؛ لما فيها مِن دلالةٍ على عدم اليقين، وعلى غير المتوقّع.

وجه التّعبير بفعل الكون الماضي:

ظـهـور الـكـذب بـعـد الأيـمـان المغلّظة دليلٌ على رسوخ صفة الكذب

آثر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بفعل الكَون بصيغة الماضي، في قوله جلّ شأنه: ﴿إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾؛ إيماءً إلى أنّ ظهورَ السّقاية في رحالهم يقتضي كونَهم عريقين بصفة الكذب، لمّا ساقوا دفاعَهم عن أنفسهم بكلام مؤكَّد غايةَ التّأكيد، وأقسموا قسمًا عظيمًا على نزاهتهم، فإذا بانَ انتقاضُ ذلك بأن يظهر الصُّواعُ في رحالهم، فإنّ ذلك يقتضي كونَهم في غاية الكذب، وأنّهم متّصفون به على وجه الرّسوخ، وأنّ صفة الكذب متأصّلةٌ فيهم.

سرُّ إيثارِ لفظِ (الكذب):

مَـن ثبت كـذبُه هـان قـــدْرُه، وتهاوَت قيمتُه

آثر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ الكذب، في قوله جلّ شأنه: ﴿إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾، دون جاحدين أو غيره؛ لكونهم لو ظهر خلافُ ما

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/51، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/30.

قالوا فإنّهم سيكونون قد أخبروا بخلاف الحقيقة، وهذا هو الكذب، أي: "كاذِبِينَ في جحودكم وادّعائكمُ البراءةَ منه"[1].

سرّ التّعبير عن كذبهم باسم الفاعل المجموع:

عبّر النّظم الكريم في قوله جلّ شأنه: ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ عن كذبهم باسم الفاعل المجموع؛ للدّلالة على رسوخ هذه الصّفة وثُبوتها بهم جميعًا؛ لكونهم قد أجمعوا جميعًا على نفي كونِ الصُّواع في رحالهم، أو يُرادُ به الجِنس، والمعنى: إنّكم كائنون مِن جنس الكاذبين.

يُفْصِحُ الاسمُ عن رسوخ صفة الكذب، والجمعُ عنِ التّواطئ عليها

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الجزاء والعقاب:

العقَاب يُنبئ عن اسْتِحْقَاقٍ، وسُمّي بذلك؛ لِأَنَّ الفَاعِل يسْتَحقّهُ عقيبَ فعله. وأصلُ العقَاب التُّلُوُّ؛ وهو تأديةُ الأوّلِ إلى الثَّاني، يُقَال: عَقِبَ الثَّاني الأوّلَ: تلاه، وعَقِبَ اللَّيْلُ النَّهَارَ[2]. وأمّا الجَزَاء: فهو ما فيه الكفاية مِنَ المقابلة، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فَشَرٌّ[3]. ففيه معنى المقابلة على الخير بالثّواب، وعلى الشّرّ بالعقاب، والجزاء يكون مماثلًا مساويًا للمَجْزي عنه. فحكموا في الآية، بأن يكون جزاءُ أخذِه ما ليس له أن يُؤخَذ هو نفسُه، فيكونَ جزاءً بالمقابل، وليس عقابًا.

الجزاء إيقاع الفعل المماثل بالجاني، والعقاب إلحاق العذابِ عَقِبَ الفعل

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/490 - 491.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 239.
(3) الرّاغب، المفردات: (جزا).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 23 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-20-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»